

الفصل الثالث

الجوانب الانفعالية للنمو

Emotional Aspects of Development

الدور المحورى للعاطفة The Central Role of Emotion

يعتبر موضوع الصعوبات العاطفية التى يتعرض لها أصحاب التوحد من الموضوعات التى تثير الكثير من الجدل، ويصف كانر Kaner الصعوبات العاطفية لدى هذه الفئة بأنها اضطراب انفعالى، وسمة من سمات أصحاب التوحد. وتتفق العديد من التعريفات على أن أصحاب التوحد يتصفون بالانسحاب والانعزال والانطواء بعيداً عن الناس. وهناك اتجاه بحثى فى علم النفس يعتبر الاضطراب العاطفى لدى أصحاب التوحد اضطراباً ثانوياً بالمقارنة بالاضطراب المعرفى. ويعارض أصحاب هذا الرأى الدال على أن الاضطراب العاطفى اضطراب أساسى لدى أصحاب التوحد حيث ينبع رأيهم من أن التوحد له منشأ نفسى يحدث بسبب التربية الوالدية الخاطئة.

هذا وبعد العديد من محاولات الوصف لاضطراب التوحد أمكن التوصل إلى أن التوحد اضطراب انفعالى، وأن أمهات الأطفال أصحاب التوحد يفتقدن إلى المشاعر والأحاسيس ويوصفن بأنهن «ثلاجيات». ولقد دافع أصحاب هذا الرأى دفاع المستميت عن وجهة نظرهم هذه على مر السنين، ولكن الخبرة العملية لم تستطع هى والبحث إعطاء الدليل على أن الأمهات أو حتى الآباء هما السبب فى اضطراب

التوحد. ومن المحتمل أن تكون الجينات مسئولة عن حدوث التوحد أكثر من الرعاية الوالدية وطرق التنشئة. وإذا كان الاضطراب الانفعالى لصاحب التوحد ينبع من صعوبات النمو التى تواجهه، لذا فإنه من المنطقى أن نفترض أن فشل أصحاب التوحد فى فهم الحالات العقلية لديهم يؤدى إلى زيادة حدة الخوف والإرتباك. كما يؤدى إلى انسحابهم وفشلهم فى العمل والتواصل مع الآخرين. هذا وترتبط عملية فهم الحالات العقلية (الصور الذهنية) لطفل التوحد بجوانب نموه الانفعالية، وسيتم توضيح هذا من خلال عرض الحقائق الخاصة بالنمو الانفعالى لأصحاب التوحد فيما بعد. والجدير بالذكر أن طفل التوحد لا يصل إلى فهم كامل للحالات العقلية (الصور الذهنية) الخاصة به حتى عمر أربع سنوات وهناك العديد من الأسئلة التى أثبتت حول الاختلافات بين طفل توحدى عمره أربع سنوات وطفل عمره عامان أو ثلاثة من الأطفال العاديين فى النمو الانفعالى.

ويرى هوبسن Hobson أن العجز الانفعالى الرئيسى الناجم من اضطراب بيولوجى غير واضح يجعل طفل التوحد غير قادر على إدراك انفعالات الآخرين ومن ثم يفشل فى الوصول إلى قاسم مشترك من المعنى بينه وبين الآخرين أى لا يصل إلى المشاركة الوجدانية مع الآخرين وبالتالي لا يستطيع تحديد توقعات الآخرين حول العالم. ويتضمن هذا الرأى المعنى الدال على أن اتصال أصحاب التوحد مع الآخرين لا يعتمد على الطريقة المعرفية وفهم الحالات العقلية للآخرين فالأفراد العاديون يدركون بشكل مباشر خلال غمومهم أن هناك اختلاف بين العالم الحقيقى، وبين إدراكنا لهذا العالم (الصور الذهنية التى نكونها عن العالم)؛ ويدركون أن اتجاهاتنا عن العالم تكون معانى وإدراكات مختلفة عنه تختلف باختلاف الأفراد. وبناء عليه فإن النمو الطبيعى للطفل يبني اتجاهه نحو العالم. كما ينمى استجابة الطفل للكيفية التى تعمل بها الأشياء واستجابته نحو المعنى الذى تثيره هذه الأشياء (الأشياء التى نأكلها أو نلبسها أو نلعب بها).

هذا وتتكون إحساسات الطفل من المعانى الأولية التى شارك فيها الآخرين. لذا

فإن الاضطراب الانفعالي المبكر يشير أنواعاً من الصعوبات المعرفية تعيق فهم الحالات العقلية لدى أصحاب التوحد.

تطور النمو العاطفي: The Course of Emotional Development

(١) النمو الشخصي Personality Development

يمارس أطفال التوحد طرقاً خاصة للتفاعل مع الآخرين تختلف عن طرق التفاعل التي يستخدمها الأطفال العاديون. ونظراً لأن هذه الطرق لا تمكن أصحاب التوحد من إثارة التفاعلات الاجتماعية لذا فإن ذاتية أصحاب التوحد تكون غير ظاهرة أثناء التفاعل، هذا ويعبر صاحب التوحد عن ذاته من خلال أعمال وسلوكيات وأحداث خاصة به. فشخصية صاحب التوحد غير ثابتة لأنه لا يشعر بذاته ولا يستطيع الربط بين الذات والسياقات الاجتماعية كما هو الحال لدى الأفراد العاديين، وقد تستمر صفة معينة مع صاحب التوحد عبر مراحل نموه المختلفة مثال ذلك: طفل التوحد الذي يشد بعنف عربة بها ثلاث عجلات بعنف قد يستمر معه سلوك العنف عندما يكبر حيث تجده يميل إلى إهانة زوجته.

وعندما نحدد سمة مستمرة لدى طفل التوحد يمكن القول أننا تعرفنا على سمة ثابتة لديه لها دوافعها وأسبابها. والجدير بالذكر أن هذه الدوافع تختلف من مرحلة إلى مرحلة أخرى، عند تدريس المهارات الاجتماعية لأصحاب التوحد يجب أن يأخذ في الاعتبار الفروق الموجودة بين السمات الشخصية الثابتة، والسلوكيات الخاصة وذلك فيما يرتبط بالمشكلة أو طريقة حلها وهنا يجب الوعي بالآتي:

أولاً: يجب معارضة الرأي الدال على أن خبرات الحياة المبكرة تشكل بالضرورة شخصية البالغ، ذلك لأن هذه الخبرات تؤثر في تشكيل الشخصية بشكل جزئي.

ثانياً: الحرص على وصف سلوك صاحب التوحد بأنه سمة شخصية، ولكي نكون أكثر دقة يوصف طفل التوحد الذي يظهر سلوكاً عدوانياً في موقف ما ولم يتعلم طرقاً لتلبية احتياجاته بوصف بأنه شخص عدواني.

وهذا ويمر الفرد العادي في نموه الطبيعي بفترتين يكون فيهما رابطة مزدوجة هما فترة (رابطة الأم/ الطفل)، وفترة (رابطة الذكر/ الأنثى) حيث يكون لكل فترة من

هذه الفترات محددها البيولوجية. ولكن عندما يحدث اضطراب بيولوجي في مراحل النمو الحرجة تتمزق الرابطة البيولوجية والسبب هو التوحد. كما تتمزق الأليات الأخرى من السلوك المنتظم (مثل التقليد، واستخدام الرموز) ومن ثم تتأثر عملية النمو الشخصي للفرد ولا يستجيب طفل التوحد كثيراً لأفعال واتجاهات الآخرين. ويزود التقليد الأفراد العاديين بألية للمشاركة في الخبرات وبناء الشخصية فالأطفال الصغار يتفاعلون معاً في الألعاب الجماعية من خلال التقليد الجماعي للمربي الذي يمد الطفل بالرعاية في المرحلة المبكرة. أما أطفال التوحد فلديهم صعوبات تمنعهم من التقليد وعندما يقلدون يقلدون بطريقة آلية جداً.

(٢) نمو مفهوم الذات Development of Self Concept

يتكون مفهوم الذات من عنصرين هما:

أ - العنصر الوصفي: ويطلق عليه صورة الذات.

ب - العنصر التقديري: ويشير إلى قبول وتقدير واحترام الذات.

ويرى البعض أن مفهوم الذات ينشأ من تأثير الآخرين فينا لذا فإن الفرد يفسر ذاته من خلال علاقاته مع الآخرين والتي من خلالها يحدد الكيفية التي يتصرف بها معهم. ويشكل مفهوم الذات الطريقة التي يفسر بها الطفل خبراته مع الغير ولو أن معنى هذا المفهوم ينشأ من الخبرات الذاتية فقط لتمزق هذا المفهوم.

وإذا كانت وجهة النظر السابقة صحيحة فإن الجزء الأول من مفهوم الذات (العنصر الوصفي) سوف يتأثر لأن تصور الفرد عن الذات يعتمد كلياً على الحقائق المرتبطة بالسيرة الذاتية عن أنفسنا والتي نتعلمها من التعرض لمواقف معينة ويعتمد جزئياً على حصيلة ما يقوله لنا الآخرون عن أنفسنا. وهكذا يمكن القول أن أصحاب التوحد يستطيعون معرفة أعمارهم وجنسهم والمكان الذي يعيشون فيه والأشياء التي يرغب في عملها من الآخرين. ولكن لديهم صعوبة ترتبط بالأشياء التي تعتمد على خبراتهم الشخصية مع الأشياء، وعلى معرفة حقيقة شعورهم نحو الآخرين.

أما الجانب الثاني من مفهوم الذات فيعتقد مؤلفا هذا الكتاب بأنه مفقود كلياً لدى أصحاب التوحد والسبب هو نقص شعورهم بالذات الأمر الذي يجعلهم غير

قادرين على التعبير عن صورة الذات وبالتالي لا يستطيعون إصدار أحكام تقديرية عليها، ولما كان أصحاب التوحد غير قادرين على ملاحظة التفاعلات مع الآخرين لذا فإنهم لا يستطيعون دمج هذه الأحكام مع تقديرهم للذات. إلا أن أصحاب التوحد الأكثر قدرة يظهرهم خصائص سلوكية تدل على أنهم يمتلكون احتراماً منخفض لذاتهم، ويشعرون بانهم تحت التقدير. ونادراً ما يعبر أصحاب التوحد عن عدم رضاهم عن الطريقة التي يعاملون بها، ويعبرون عن شعورهم بعدم القدرة على معالجة مواقف معينة بطريقة اعتادوا عليها بدون فهم كامل.

والشيء الذي يجب أن نقر به هو الاكتئاب المصاحب لهذه التعبيرات وتشبه تعبيرات أصحاب التوحد التعبيرات التي تستخدمها الأفراد العاديون فالفرد التوحدي يطور معنى احترام الذات في ضوء فشله أو فشل توقعاته الشخصية عن نفسه أو في ضوء توقعاته عن تفاعله مع الغير.

لذا يجب أن نظهر لأصحاب التوحد أننا نقدرهم حتى في الحالات التي لا يرضي فيها صاحب التوحد عن أفعاله. وعلى الرغم من صعوبات صاحب التوحد الملحوظة في فهم الآخرين فإن صاحب التوحد يستجيب للطريقة التي يعامله بها الناس لذا يجب أن يظهر البالغ احترامه وتقديره بوضوح لفرد التوحد حتى لا يكون هناك ضغط زائد على طفل التوحد نحتاج لتغييره بعد ذلك، وهذا الأمر يتطلب منا التمييز بين الرغبة في التغيير والحاجة إلى التغيير. وإذا استطاع القائمون بالعمل مع أصحاب التوحد قبول وتقدير سلوك التلميذ دون الحاجة إلى تغييره فإن هذا سوف يحرر موقف التدريس من الضغط، ويسمح لكل من المعلم والتلميذ بالتركيز على التغيير الفعلي للسلوك.

(٢) دراسة العواطف Learning About Emotions

لا يستطيع الفرد أن يقرر بأن طفل التوحد في كل الحالات منسحباً من المجتمع ذلك لأن بعض هؤلاء الاطفال يتعلق بأمه وينقل أفكاره لها. كما يتسم بعضهم بأنه اجتماعي والبعض يعبر عن مدى متسع من مشاعره والبعض الآخر يعبر عن عدد أقل من المشاعر.... إذن هناك اختلاف نوعي بين أصحاب التوحد فيما يرتبط بالظروف

المحيطة بهم وطرق الاتصال بالآخرين والتي تعتمد على الطريقة التي يسلكها الفرد وعلى الروابط العاطفية العادية.

وفى هذا العالم المربك حيث لا يستطيع الفرد أن يتوقع بالمستقبل تجد الطفل يتمسك بفكرته أو بما يعرفه، ولكن يستطيع الطفل أن يتوقع سلوكيات الوالدين لأنهم هم الأفراد الذين يمثلون مصدراً للأمن بالنسبة له أو الأفراد الذين يتشاور معهم.

إنه الحب فرغم أن أطفال التوحد يختلفون عن باقى الأطفال فى الشعور بالحب والتعبير عنه إلا أن أطفال التوحد يمكنهم أن يتعاملوا مع الوالدين كما لو كانوا أشياء يحبونها وذلك بغض النظر عن درجة ارتباط الطفل بالديه وأنها حقيقة محزنة بالنسبة للوالدين أكثر من الأبناء أن يتعامل أطفال التوحد مع الوالدين بنفس الطريقة التى يتعاملون بها مع الأشياء. وسوف نتعرض فى الفصول القادمة للانتباه المشترك بالتفصيل ولكن هناك أدلة على أن أصحاب التوحد لا يستطيعون النظر إلى الأشياء بطريقة تلقائية أو طبيعية، ولا يشيرون إلى الأشياء التى تقرب إليهم ولا يعيرونها أدنى انتباه. والجدير بالذكر أن هذه الصفة العقلية تمثل أحد صفات أصحاب التوحد ولكن إذا تم اثارتهم إثارة لفظية، وتوجيههم لمتابعة الاتجاه الذى ينظر فيه فرداً ما، أو متابعة الاتجاه الذى يشير إليه فرد ما بأصبعه فإنه يستطيع عمل ذلك.

ويفسر البعض عدم قدرة أصحاب التوحد على انجاز المهام السابقة بدون توجيهات بنقص قدرتهم على مشاركة الآخرين فى الأحداث مشاركة انفعالية ولعل هذا الأمر يعظم دور التدريس وتطبيقات التعلم فى أهمية تنمية قدرة أصحاب التوحد على الاتصال. أى أن توجيه الانتباه لا يتطور بشكل طبيعى أو تلقائى لدى أصحاب التوحد.

وهناك صعوبة لدى أصحاب التوحد فى إدراك مشاعر الآخرين فالطريقة التى يدرك بها طفل التوحد مشاعر الآخرين مازالت مثاراً للجدل ومن المحتمل أن تكون إمكانية إدراك مشاعر الآخرين ومشاركتهم فى تركيز الانتباه على شئ معين إمكانية بيولوجية يمكن تطويرها من خلال عمليات التقليد للإشارات والصفات الخارجية

للسلوك مثل استخدام الصياح فى حالة الخطر والابتسامة كاستجابة للسلوك المريح. ومن المؤكد أن هذه السلوكيات تحدث مبكراً فى النمو الطبيعي، وتضطرب بشكل ملحوظ لدى أصحاب التوحد حيث يقطب طفل التوحد جبينه عندما نبدأ فى تعليمه العودة إلى الابتسامة، وربما نجد أنفسنا فى حيرة كبيرة عندما نرى التناقض بين صوت وصورة وجه فرد ما من أصحاب التوحد أى أن دور العاطفة فى نظرية النمو العقلي مازال مثاراً للجدل.

هذا ويضطرب النمو الانفعالي والاجتماعي منذ بداية مرض التوحد إلا أن أطفال التوحد الأكثر قدرة يمكنهم فهم قواعد الحياة العاطفية والاجتماعية ومن المحتمل أن يحدد أطفال التوحد تعبيرات الوجه المرتبطة بمشاعر السعادة والحزن أكثر من تحديد تعبيرات الوجه المرتبطة بالدهشة والمفاجأة بما فيها الحالات العقلية.. هذا وترجع عدم قدرة صاحب التوحد على تحديد الصورة الكاملة للتعبير الانفعالي إلى عدم قدرته على مقابلة تعبيرات الوجه مع عوامل الاتصال الأخرى مثل وضع الجسم والإيماءات ونبرة الصوت أو الموضع.

ويستخدم صاحب التوحد الإيماءات التي تعبر عن الأشياء التي يرغب فيها بطريقة محدودة ويمتنع من الاقتراب من شخص ما بمد يده إليه كما أنه لا يظهر تلقائية فى الإيماءات الدالة على ارتياحه الأمر الذي يشير إلى خجله. ولا يستطيع صاحب التوحد أن يحدد مشاعره الحقيقية كما لا أنه يستطيع التعبير عنها.

هذا ويجب أن يكون المعلم والقائم بتربية طفل التوحد على وعى بالكيفية التي يعبر بها الطفل عن مشاعره والأسباب المسئولة عن ذلك والتي تتلخص فى أنهم يطبقون ما يتعلمونه بدون فهم كامل.

مثال ذلك: - لقد أعطت Wendy Brown مثالاً لطالبة تقيم فى المدرسة التي تعمل بها كانت تصرخ بشكل يشير الشفقة يوماً ما. وعندما سأل الإخصائي الاجتماعي عن سبب ذلك اجابت الطالبة بانها حزينة لأنها افتقدت زميلها «Simon» سيمون.. وهذه الإجابة تبدو مقبولة لان هذه الطالبة كانت تحب أن تجلس بجوار

سيمون في كل المناسبات كما أنها كانت متعلقة به والشيء الجدير بالذكر هنا أن سيمون كان يجلس بجوار هذه الطالبة في تلك اللحظة..

والتفسير الأكثر قبولاً لصراخها هو أن سيمون قد حصل على إجازة منذ وقت وأن هذه الطالبة شعرت بالقلق في تلك الفترة ولقد ربط الاختصاصي بين ما حدث وصراخ كاتي وقال «كاتي Katty أيتها المسكينة، لقد توقعت أنك قلقة الآن لان سيمون لا يجلس بجوارك الآن. وهكذا نقول ان هذا الموقف يمثل إجابة للسؤال المحير الخاص بحالتها العقلية غير المفهومة: هذا المثال لا يقول إن مشاعر كاتي غير حقيقية ولا يمكن أن يقول إن هذه المشاعر ليس لها سبب. لكن هذا المثال يشير إلى أن الفرد الذي لا يفهم انفعالاته ومشاعره لا يستطيع أن يحدد الأساليب الصحيحة التي يمكن استخدامها للتعبير عن هذا الانفعالات وهنا أيضاً يمكننا أن نقول إن الأفراد المحيطين بأصحاب التوحد ويعرفونهم معرفة جيدة لا يمكن أن ينخدعوا باستجاباتهم المرتجلة في تحديد حقيقة مشاعر هؤلاء الأطفال.

وقدمت Temple Grandin توضيحاً أكثر لهذا عندما كانت في مقابلة تلفزيونية.. حيث طلب مقدم البرنامج منها أن تتحدث عن طفولتها وعن ثورات الغضب والألم والإحباطات عندما تتفاعل مع الضوضاء العالية، والمشاعر غير السارة بثورة انفعالية وغضب. ولقد استخدم مقدم البرنامج لإثارة Temple حتى تناقش مشاعرها السؤال التالي.. ماذا كنت تشعرين عندما كان يحدث كل هذا؟.. بدأت Temple في شرح إحساسها بتشبيه ذلك بالمادة الكاوية التي توضع على الجلد.. وعندما قاطعها مقدم البرنامج قائلاً لها «لا» أنا أقصد ما حقيقة شعورك العاطفي؟ ظهرت بعد ذلك فترة سكون؛ ولاحظ مقدم البرنامج إن Temple تعي تماماً معنى السؤال.. إلا أنها لا تستطيع أن تجيب عن السؤال لأنها لا تستطيع ان تعبر عن مشاعرها ولا تستطيع الكذب في نفس الوقت. ولقد علقت Temple في النهاية على المشكلة بقولها أنها لا تعرف كيفية التعبير عن الطريقة التي تحس بها الأشياء (ساخنة - باردة) ومن ثم فهي لا تستطيع التعبير عن الألم الناجم من الأصوات المرتفعة وهي أيضاً قلقة تجاه كيفية التي تحس بها الأشياء.

وعندما نرغب في فهم الكيفية التي يؤثر بها الفرد في الآخرين فاننا نحتاج إلى تفسير سلوكيات الآخرين وهذا ينطبق أيضا على سلوكيات أصحاب التوحد. وقد يبدو في بعض الأحيان للوالدين والمعلمين أن أصحاب التوحد يميلون إلى مضايقة الآخرين وازعاجهم. والجدير بالذكر أن الأطفال العاديين أثناء عمليات النمو الطبيعي لهم يتحولون من الاعتماد على طرق ترتبط بالآخرين إلى الاعتماد على طرق ثقافية تستخدم نظاماً رمزية.

ولقد اتضح لنا أن الأم تستطيع أن تحدد رضيعها بالشم. ولكننا في الحقيقة نميل إلى كبح هذه الفكرة فالأم مثلاً لا تدخل الحضانه وتستخدم الشم كطريقة تحدد بها رضيعها ولكنها تعتمد في تحديد رضيعها على الطريقة التي ينظر بها رضيعها، والطريقة التي يتكلم بها أو يتصرف بها والكيفية التي يحس بها. إلا أننا احتفظنا بهذه الطرق البدائية في معرفة بعضنا البعض في مواقف النصح والارشاد والحب بين الأم والرضيع أو بين العشاق - ولكن علاقتنا الاجتماعية العامة لا تدار بالشم أو التذوق أو اللمس وخاصة في الثقافة البريطانية الحالية.

هذا وإذا لم ننجح في تطبيع الأطفال اصحاب التوحد اجتماعاً داخل هذا الاطار الثقافي فإنهم سوف يستجيبون باستخدامهم تلك المشيرات البدائية كرد فعل على الآخرين وبالتالي لا يستطيع التوحدي إدراك العاطفة، والتعرف عليها ولكنه يتفاعل معها حيث يستطيع صاحب التوحد أن يشعر بالخوف الذي نحاول أن نكتمه عنه (أثناء مواقف التحدي) كما أنه يشار بسبب التوتر الذي نشعر به نحن في مواقف الغضب الذي نكبته.

فمثلاً Donna Williams من أصحاب التوحد كانت تقوم بكتابة خبراتها السابقة. وهي تستطيع أن تذهب للأفراد وتحدث معهم إلا أنها لا تزال تذهب إلى حجرتها وتلمس كل الأساس الموجود فيها قبل أن تجلس وعندما ذكرت سبب ذلك قالت إنها لا تستطيع أن تكون معنى عن المكان الذي يوجد فيه الأساس من النظر فقط إليه بل من لمسه أيضاً. وذلك كما يفعل الأعمى تماماً لذا يجب علينا أن نتذكر هذا في التدريس وخاصة عندما نعلمد إلى اغفال سلوكيات قد تبدو عديمة المعنى بالنسبة لنا ولكنها هامة بالنسبة لطفل الأوتيزم.

ويجب علينا أيضا أن نخترزل بعض السلوكيات التي يقوم بها أصحاب التوحد أو على الأقل نحددها ونقلل منها مثل استخدام سلوك شم الابط في الترحيب بالغرباء. وذلك حتى تجعل طفل التوحد مقبولا داخل عالم اكثر اتساعا كما يجب علينا أن نفهم وظيفة هذا السلوك بالنسبة لهذا الطفل ونحاول أن نعلمه طريقة أخرى لتحقيق هذا الغرض.

وعندما يتحدث المعلم عن مشاعر أصحاب التوحد فإن المشكلة لا تكمن في نقص التعبير الانفعالي ولكن تكمن في عدم القدرة على التعبير الحر عن الانفعالات وبخاصة الانفعالات السلبية، وعدم القدرة على السيطرة على الهيجانات العاطفية التي تحدث بغض النظر أو مهما كان ذكاء طفل التوحد هذا الأمر أو المثال يجعل طفل التوحد ذى القدرة الجيدة يبدو سيئا. والأطفال أصحاب التوحد الذين يعانون من مشكلات وصعوبات التعلم نلتمس لهم العذر في الهيجانات الانفعالية لأننا نقبل نقص الفهم الموجود لديهم. إلا أن الاتجاه نحو الاطفال ذوى القدرة الأكاديمية الجيدة والذكاء الجيد يشير إلى أننا لن نقبل الهياجانات العاطفية منهم لأننا لا نتوقع ذلك.

ومن المهم بالنسبة للمعلم أن يدرك نمو التلميذ فى ضوء فهم انفعالات التلميذ. ويجب ألا نقارن خبرات التلميذ فى الحياة والتعلم بسلوك وفهم رضيع صغير. والمعنى المستفاد من هذا أنه يجب على المعلم أن يطور الاتجاه نحو هذه الهيجانات العاطفية ويستفيد من ذلك فى تطوير الطرق التي يستخدمها فى التعامل مع هذه الهيجانات.. والشئ الجدير بالذكر هنا هو أنه إذا وجه المعلم طاقته نحو تعطيل سلوك التلميذ الذى يعى به فإن هذا يوجد مهمة صعبة أمام التلميذ تمنعه من تطوير أى فهم لتلك الانفعالات.

وإذا لم يعرف طفل التوحد طريقة أخرى للتعبير عن هذه الانفعالات ويمنعه المعلم من استخدام الطريقة الوحيدة الموجودة لديه فى التعبير عن هذه الانفعالات عند هذه الحالة يبتعد التلميذ عن هذا الانفعال أو على الأقل إذا كان يملك هذا الانفعال قد لا يظهره ويعبر عنه بعد ذلك.. والطريقة المثلى لمعالجة مثل هذا الموقف

هى أن يظهر المعلم لتلميذ التوحد أنه يدرك هذا الانفعال الذى يعبر عنه طفل التوحد وأن يساعده فى تحديد هذا الانفعال باستخدام الكلمات أو يظهر هذه المشاعر للطفل أمام المرآة.. أو يسجل مشاعر الطفل باستخدام الفيديو أو الصور الفوتوغرافية ثم تتاح الفرصة أمام طفل التوحد ليتأمل تلك المشاعر.. بعد ذلك نستطيع أن نعرض هذه المشاعر باستخدام الكلمات إذا كانت مناسبة أو خلال الأحداث والسلوكيات أو أى طريقة يستخدمها الطفل فى التعبير عن انفعالاته. وتمثل عملية توقف الطفل عن إخماد العاطفة الموجودة لديه شيئاً صعباً جداً وخاصة إذا كانت هذه العاطفة قوية.

وتتطلب هذه المهمة إدارة أكثر حتى يتعلم الطفل شيئاً ما عن العواطف ذات المنفعة التربوية الإضافية. وهكذا يمكن القول أن الحاجة إلى التحكم فى السلوك تفوق أو تساوى فى أهميتها تدريس الانفعالات.

دور العاطفة فى التعلم The Role of Emotion in Learning

١- الانفعالات ميسر للتعلم Emotion as A Facilitator of Learning

يؤيد النظام التقليدى فى التعلم تقليل دور العاطفة فى التعلم وهناك رأى يؤكد على أن استخدام العاطفة بطريقة مبالغ فيها تعطى نتيجة سلبية تعرقل عملية التعلم المنطقية الموضوعية.. ولقد ثبت الآن عدم صحة هذا فيما عدا أنواع التعلم الأكثر تجريباً إلا أن علماء الرياضيات الموهوبين يظهرون نجاحاً اثناء وجود مشاركة انفعالية فى عملهم. ونحن من خبراتنا العملية نعلم أن تعلم الأشياء التى تحظى بقدر أكبر من اهتماماتنا يكون عملية سهلة، كما أننا نعلم أن المادة التعليمية المملة والكثيرة لا ترتبط بحياتنا يكون تعلمها صعباً جداً.

ولقد اقترح أن أحد الوظائف الهامة للانفعالات فى الإنسان هى السماح بالإبداع والتجديد فى استجاباتنا المختلفة للبيئة لذا فإننا نستطيع أن نواجه ونعالج المشكلات الجديده التى لم نواجهها من قبل. وسوف نرى لاحقاً من هذا الفصل فى الجزء الخاص بحل المشكلات أن استجاباتنا العادية للمشكلات تتمثل فى محاولة تجريب واختبار طرق حل المشكلات وأنه اذا كانت هذه المشكلات جديدة بالنسبة لنا أو

تصادفها العديد من العقبات فإننا في هذه الحالة نجرب انفعالات (الخوف - القلق - الإثارة) ونعتمد على التحدى وتحمل المسئولية. لذا فإن هذه الحالة الانفعالية تمكنا من الهروب من الطرق المألوفة للتفكير والعمل على استرجاع كل المقررات الدراسية ذات الصلة إلى بؤرة الاهتمام.

هذا وبينما يقترب الأطفال العاديون من الحياة بفضول قوى وحب استطلاع ثابت فإن الموقف بالنسبة لأطفال التوحد يكون مختلفاً وأكثر تعقيداً. ذلك لأنه لا يوجد لديهم حب الاستطلاع الطبيعي والاستمتاع الطبيعي بالمعرفة ومن الملامح الأخرى الهامة بالنسبة لأطفال التوحد هي عدم قدرة طفل التوحد على عمل معنى عن العالم الذى يعيش فيه ويستطيع المعلم عمل الكثير لبناء الاهتمامات لدى أصحاب التوحد. ومن السهل أن نتبع نموذج معلم Temple Grandin ونتيح الفرصة لها حتى تطور اهتماماتها بالتصميم والهندسة، بينما يبدو لنا أنه من الصعب أن نفكر فى الامتدادات والنطاقات المفيدة للقدرة ونقل أثر التعلم إلى مواقف أخرى. من خلال ربط المعلومات المختلفة (لكى نوجد نوعاً من التوازن بين الأشياء المنتشرة على الرف يجب ربط بعضهما البعض لمنع سقوطها على الأرض عند الدق عليها).

والطفل الصغير لا يستطيع أن يمتلك من القدرات العقلية أو اللفظية التى تمكن من نقل أثر تعلم هذا النشاط إلى مادة الفيزياء مثلاً - لأن معلوماته غير مترابطة مثل الأشياء التى توضع غير مترابطة على الرف ويسهل سقوطها عند الدق عليها.. ولكن اهتمامه يتركز حول مشروعات الفن الثلاثة التى تبدأ بحرف 3- D- Art Projects مع بعض النجاح.. ولكن هذه المشروعات تصبح أكثر نجاحاً لو ربطت بدروس الصف وإستخدمت فى إنجاز بعض أجزاء المنهج.. نحن هنا لا ندعى أن الأطفال يتطورون من خلال عمل أى شئ يحسن نوعية حياتهم فى أى حالة.

نحن لا نرغب فى الادعاء بأنه من السهل اتباع تعليمات مثل «ركز على المدخل العام لتعليم الطفل» «اتباع الاتجاه الذى يفضلته التلميذ» ولكننا يمكن أن ندعى أنه من المحتمل أن تكون أكثر نجاحاً إذا حاولت أن تفعل هذا وإذا حاولت أن تركز على اهتمامات الطفل بدلاً من العمل ضدها.

لا توجد لدى أطفال التوحد دافعية للمشاركة الانفعالية فى مهمة ما. كما لا

توجد لديهم دافعية للتعامل مع الأطفال العاديين هذا بالإضافة إلى أن طفل التوحد ليس لديه فكرة عن كيفية اسعاد والديه ومعلميه رغم أنه يعلم ماذا يفعل لكي يحقق نتائج مرضية أو ماذا يفعل لتجنب المتاعب.

وهذا الطفل أيضاً لا يمكن إثارة دافعيته لتحقيق أهداف طويلة المدى أو لإدارة حياته؟ ولا ينمو لديه مفهوم الرضا المؤجل بسبب قدرته الضئيلة على التنبؤ. والجدير بالذكر أنه بدون هذه المشاركة الوجدانية يكون من الصعب بالنسبة للطفل ممارسة الأعمال الابداعية التلقائية لأنها تتطلب بعض التقدير لمعنى ومغزى المهمة (وهذا يعتمد بدوره على التقدير العاطفى). وأن التعلم سوف يصبح معتمداً على ما يثيره المعلم والبيئة لدى الطفل.

٢- العاطفة كعامل يعوق التعلم Emotion as A Disruption of Learning

لا يقتصر دور المعلم على المشاركة الانفعالية فقط والإدارة الانفعالية للمهمة التعليمية بل يمتد دوره ليشمل الاهتمام بردود الأفعال العاطفية تجاه أداء المهمة. ونظراً لأنه لا توجد طريقة واحدة صحيحة تستخدم لتدريس كل أطفال التوحد فى كل المواقف لذا فإنه لا يمكن أن نتعامل مع ردود الأفعال العاطفية نحو الفشل بطريقة واحدة أو نشجع مدخل حل المشكلات فى كل المهام فى نفس اليوم. ويجب تعليم أغلب الأنشطة اليومية باستخدام مداخل تدريس تعتمد على الخطوات الصغيرة Small Steps والإثارة اللفظية لمركبة Structured Prompts حتى يستطيع طفل التوحد أن يعرف الأعمال التى يقوم بها بدون ضغط أو إجهاد وحتى يستطيع أن يؤدي المهمة بشكل تلقائى (عادة) بدلاً من إجهاد وإنهاك انتباه طفل التوحد فى المهمة. لكن إذا كانت كل الأنشطة التعليمية من النوع الذى يجهد وينهك انتباه طفل التوحد فإن تقديم أى مهام أو تغيرات جديدة فى الموقف أو الفشل فى الاستجابة للنظام التعليمى سوف يحدث إجهاداً انفعالياً شديداً الأمر الذى يؤدي إلى إثارة مستويات أخرى من القلق يمنع بدوره فرصة التعلم المستقبلية.

رغم أن بعض الضغط يعتبر ضرورياً ومفيداً فى التعلم كما لاحظنا من قبل إلا أن وجود المزيد من الضغط يؤدي إلى تمزيق الموقف التعليمى الأمر الذى يشجع

التفاعلات المفككة مما يجعل طفل التوحد غير قادر على التعامل مع المواقف بطريقة تمكنه من إنتاج الأفكار والإبداع لذا فإنه يجب على المعلم أن يخصص جزءاً من الوقت يعلم فيه الطفل كيفية التعامل مع الفشل ويعلمه كيفية استخدام المشاعر فى تنمية الإبداع.

ولكى يأخذ المعلم فى اعتباره دور الضغط والإجهاد وأثره على التعلم فإنه يجب على المعلم أن يكون على وعى بالأسباب المختلفة التى تؤدى إلى الضغط والإجهاد لدى أصحاب التوحد حتى لا يؤدى هذا الضغط إلى أشياء أخرى لا يمكن إدارتها.

ويعود الضغط والإجهاد إلى عدة عوامل منها حجم مكان التدريس وكثافة العمل. فالمسافة غير المريحة بين التلاميذ تحدث أخطاءً مختلفة من الارتباك والقلق لدى أصحاب التوحد. كما يجب على المعلم أن يكون على وعى بالمسافة الاجتماعية الموجودة بين الأفراد وأن يقف بشكل صحيح أمام أفراد التوحد ويتحدث إلى وجوههم بحيث يكون المعلم وجهاً لوجه مع أصحاب التوحد وهذا يتطلب تدريباً اجتماعياً ويحتاج إلى نوع من الحساسية الاجتماعية للمودة والصداقة والألفة التى تحدد نوع المسافة المناسبة.

هذا وقد يحدث طفل التوحد نوعاً من الارتباك والقلق داخل الحياة الصفية وجواً غير مريح عندما يقتحم فرد غريب المساحة الاجتماعية الخاصة به التى تميزه لذا فإنه يجب على المعلم أن يعى الأثر الذى يسببه حضور المعلم على أصحاب التوحد والضغط المختلفة الناجمة والتى قد تكون مؤلمة ويصعب التحكم فيها وقد يحدث التلاميذ الآخرون نفس الضغط والإجهاد لدى أصحاب التوحد من خلال تواجدهم معهم وبخاصة فى غرفة مزدحمة يتم بها العديد من الأنشطة الحرة.

لذا يجب الاهتمام بملاحظة الفصول المفتوحة التى تعمل وفقاً لخطة مفتوحة النهاية وفقاً لجدول يومية متكامل يعطى للتلميذ حرية الانتقال من نشاط إلى نشاط آخر. إن التلاميذ أصحاب التوحد الأكثر قدرة يبذلون قصارى جهدهم ويعملون أفضل فى الأماكن المنظمة التى تسمح بحرية الحركة لهم. كما أن وعى المعلم بالمشكلة وتقسيمه للصف أو قاعة الدرس إلى عدة مناطق مميزة يساعد طفل التوحد على التأقلم مع تلك الأماكن.

وينبع الضغط والإجهاد لدى أصحاب التوحد من مصادر أخرى مثل الإثارة العامة التى تحدثها الفصول المزدحمة لديهم لذا يجب على المعلم أن يكون على وعى بالعوامل التى تثير وتهيج طفل التوحد فى الفصول المزدحمة فقد يكون مثلاً ارتفاع مستوى الضوضاء أو صوت معين (صوت الطباشير على السبورة) أو استخدام كلمة معينة فى جملة.. فقد تبدأ ثورة الغضب لدى الطفل ويضرب نفسه عندما يسمع كلمة No حتى لو كان المعلم يعنى بها Know..

وقد يصبح الصف أيضاً مكاناً لتشتيت انتباه طفل التوحد وخاصة إذا كانت لديه اهتمامات تسيطر عليه.. فمثلاً الطريقة التى تسطع بها الشمس على الشباك قد تكون مصدرًا للرغبة الافتنان الإلزامى. وهناك بعض المشتتات للانتباه تكون حتمية يجب تعليم الطفل كيفية لترتيب حجرة الصف لإخفاء هذه المثيرات.

تيسير النمو العاطفى

Facilitating Emotional Development

كما ناقشنا فى بداية هذا الفصل أن هناك بعض جوانب النمو الانفعالى يجب تدريسها بشكل مباشر للأطفال أصحاب التوحد حتى يكونوا على وعى بها. ومن الممكن على الأقل أن ندرس الانفعالات باستخدام مواقف يمارس فيها طفل التوحد انفعالاً معيناً - ونساعده على مشاهدة هذا الانفعال باستخدام المرآة حتى يستطيع أن يتأمل هذا الانفعال ويعبر عنه والجدير بالذكر أنه لا يمكن معالجة جميع جوانب النمو الانفعالى بمثل هذه الطريقة المباشرة.

١. تسهيل الاتصال الاجتماعى Facilitating Attachment

هناك محاولات لتدريس بعض السلوكيات التى ترتبط بالاتصال الاجتماعى مثل الاتصال البصرى.. إلا أن التجارب اشارت إلى أن هذه المحاولات تدرّب طفل التوحد على النظر بطريقة أوتوماتيكية لعين المستقبل دون فهم الغرض من هذا الاتصال البصرى. كما أشارت التجارب إلى عدم وجود دافعية لدى التلميذ لتنفيذ الاتصال البصرى بشكل تلقائى.. وهذه تمثل مهارة عميقة إلا أن التدريب يزيد من الوعى الاجتماعى بها.

ومدخل التدريس الجيد هنا هو «التدريس التفاعلي» الذي يستخدم مع التلاميذ الذين يعانون من صعوبات تعلم حادة متعددة والذين لا يصنفون ضمن أصحاب التوحد إلا أن أوصاف سلوكياتهم تترك شكاً في ذلك. ويقوم هذا المدخل التفاعلي على أساس إعادة تعليم التفاعلات الاجتماعية الأساسية. وهذا يتم عن طريق إيجاد موقف بين المعلم والفرد صاحب التوحد يعكس تفاعلات بين المربي والطفل وبواسطة تقليل معدل هذه التفاعلات وتبسيطها والتركيز عليها يمكن الحصول على استجابات مرغوبة من فرد التوحد. ويمكن تطوير هذه الاستجابة والبناء عليها بحيث يصبح صاحب التوحد في نهاية المطاف مسئولاً عن نظام التفاعل وبالتالي يصبح قادراً على وقف التفاعل أو استمراره أو تغييره - ويمثل هذا المدخل مدخلاً مفيداً جداً في بناء بداية السلوك الشخصي لدى أطفال التوحد الذين يتسمون بالانسحاب الشديد أو الذين توجد لديهم صعوبات تعلم إضافية.

وهكذا يبدو لنا أن الوسيلة (مثل اللمس - الموسيقى - الأصوات - الكلمات) بالنسبة لهذا النمط من التدريس التفاعلي يجب أن تتغير بين الأفراد وأن تكون معتمدة في جزء منها على مستوى العمل أو التوظيف ولكن المبدأ يظل كما هو.

لا يدعى مدخل الاختيار Option Approach أنه يؤثر في الاتصال الاجتماعي، ولكن يرى هذا المدخل أنه يجب على المعلم أن يفهم طفل التوحد، وأن يقوم بدمج أفعال هذا الطفل وسلوكياته مع موقف اجتماعي.. بحيث يصبح هذا الطفل في وضع المسؤولية، وهنا يجب أن يتصرف المعلم بدرجات عالية من الطاقة والحماس والإثارة، ويجب أن يعمل على جذب انتباه الطفل.

ويمثل العلاج القائم على استخدام الموسيقى في الاتصال أداة هامة لتطوير السلوك الاجتماعي لدى كل من طفل التوحد وعضو هيئة التدريس أو الوالدين. ويجب أن تستجيب الموسيقى لسلوكيات طفل التوحد داخل موقف حي. وفي الحالة التي لا تتوفر فيها الموسيقى (العازف) المتخصص يجب على المعلم أن يقوم بعمليات العزف أمام الطفل باستخدام الغناء.

رغم عيوب هذه الطريقة إلا أنها تمتلك العديد من المزايا مثل زيادة قوة ونشاط

وفعاليه طفل التوحد أثناء اتصاله بالآخرين. وتتلخص فكرة هذه الطريقة فى دمج استجابات طفل التوحد مع الموسيقى التى يحبها (الموسيقى السهلة فى تذكرها) والتعبير عن تلك الاستجابات من خلال الموسيقى التى لا تحدث ضغطاً أو جهداً على الطفل إلا فيما ندر. وبالتالي نتوقع التفاعل بين طفل التوحد والموسيقى وهذه الأنماط من التفاعلات الموسيقية تساعد طفل التوحد على تطوير تفاعلات اجتماعية تقلل من الصعوبات الاجتماعية التى يتعرض لها طفل التوحد.

٢- تطوير مفهوم الذات

Developing A Self- Concept

يتضمن تطوير مفهوم الذات أن إدراك الذات يمثل جزءاً من تدريس الوعى بالجسم ويمثل ممارسة منهجية عامة - مثال ذلك العديد من الألعاب مثل نشاط تحديد أجزاء الجسم وأنشطة القبعة والمرآة. ويمكن أيضاً استخدام أنشطة منهجية يتسابق فيها الأطفال ويختفى بعضهم عن البعض الآخر ثم يعود ليكتشفه ويمسك به. فى هذه الأنشطة يتعلم الطفل توقع الوقت الذى يمسك فيه زميله المختفى. كل هذا يمكن أن يمكن أن يتم تحت إشراف وتعليمات المعلم أو الوالدين. والمستوى الآخر لتعليم الذات لأطفال التوحد يهتم بإدراك أن الذات داخلية وهى ذات تستخدم فى حل المشكلات. وهناك العديد من مداخل التدريس التى تهتم بتدريس هذه الفكرة سيتم التعرض لها فى الفصول الأخيرة من هذا الكتاب - وتعتمد هذه المداخل المعرفية المقترحة لتدريس الذات على استخدام فترات زمنية مركبة للتعبير عن الأداء والمشاعر أثناء مهام حل المشكلات وبعدها.. كما تجعل الطفل على وعى بدوره الخاص فى المهمة وعلى وعى باستراتيجيات التعلم التى تستخدم فى إنجاز هذه المهام.

٣- تنمية الفهم العاطفي

Developing Emotional Understanding

يمكن تدريس المهارات الاجتماعية باستخدام التغذية الراجعة الناجمة من مشاهدة شرائط الفيديو التى تتضمن مواقف تركز على جذب انتباه أطفال التوحد نحو تعبيرات الوجه التى يستخدمها هذا الطفل أو الآخرون وأوضاع الجسم المختلفة

المصاحبة لتلك التعبيرات. والمواقف المصورة التى تركز على الظروف المختلفة التى أدت إلى هذه التعبيرات إلا أن هذه الطريقة تكون مفيدة فقط فى الحالات التى تكون فيها العواطف والانفعالات واضحة وغير غامضة... فمثلاً تعبيرات السرور تعبيرات غامضة بسبب صعوبة التنبؤ بالمواقف التى تجعل فرداً ما سعيداً أما المواقف التى تؤدى مثلاً إلى الغضب يمكن تحديدها بسهولة. وبالرغم من أن أجهزة الفيديو تعطى صورة أوضح للتعبير العاطفى والموقف الذى يؤدى إليه إلا أن كثيراً من الأطفال الذين يعانون من التوحد يجدون الفيديو (التسجيلات المرئية) معقدة كتعقيد الحياة.

ومن ناحية أخرى يجب على المعلم أن يعبر عن عواطفه بلا غموض حتى يجذب انتباه الطفل للعواطف كأن يقول «ياله من شى جميل.. إنه لشى يسعدنى.. انظر كيف جعلتنى ابتسم».. هذا ويجد بعض المعلمين أن هذه الطريقة مصطنعة ولكن يجب ان نعلم ان نعتمد عليها الى الحد الذى يجعل كل المجموعات الأخرى تتعلم هذه الأشياء بشكل تلقائى.

هذا وعلى الرغم من عدم قدرة أصحاب التوحد على العمل داخل مجموعات إلا أن أطفال التوحد الأكثر قدرة يظهرون فهماً عاطفياً أثناء والعمل داخل المجموعات.. ويمكن تعزيز هذه الطريقة باستخدام فترات الجلسات الاستشارية المنتظمة التى يحاول فيها اعضاء المجموعة تحديد المشكلات التى يرون بها (خاصة تلك التى ترتبط بالعلاقات). والجلسات التى تشجع على إيجاد طرق لحل تلك المشكلات. وهكذا يتضح إن هذا الامر يتطلب تصميم مواقف جيدة تساهم فى تحصيل تلك النتائج السابقة الجيدة التى ترتبط بفهم العلاقات الشخصية ودور أصحاب التوحد فيها.

مشكلات عاطفية خاصة Particular Emotional Problems

١-الجنس Sexuality

يتضح لنا من خلال دراسة المشكلات السابقة التى ترتبط بإدراك الذات، والفهم العاطفى أن بعض الأفراد الذين يعانون من التوحد لديهم مشكلات ترتبط بالجانب الجنسى فى الشخصية. فهناك أقلية من أصحاب التوحد لا تدرك أنها كائنات جنسية

ولاتعى بالجانب الجنسي لديها على الاطلاق.. لذا يرى أولياء امور هذه الفئة أنه يجب تطوير الاهتمامات الجنسية لدى هذه الفئة. كما توجد مجموعة أخرى من أصحاب التوحد لديها حاجات جنسية ولكن بنقصها عدم وجود الاهتمامات الجنسية لذا يجب على المعلم والوالدين أن يساعدوا أطفال هذه الفئة على تطوير أساليب للتعبير عن تلك الحاجات الجنسية. (مثال ذلك. أن يعرف كيف يمارس العادة السرية Masturbates، وأن يتبع القواعد الاجتماعية للخصوصية وحرية التصرف ومن الجدير بالذكر أنه يجب الانتظار لتحديد المكان والوقت المناسبين لتدريس السلوكيات الرفيعة والسامية.

وهناك مجموعة أخرى من أصحاب التوحد الأكثر قدرة على التعامل تصبح أكثر اهتماماً بالحياة الجنسية الكاملة وهذا يرجع إلى رغبتهم في أن يكونوا مثل الآخرين أكثر من اهتماماتهم الجنسية أى هذا لا يرجع إلى اهتماماتهم الجنسية بقدر ما يرجع إلى الرغبة في ان يكونوا مثل الآخرين.. ويمكن تحقيق هذا من خلال تربية جنسية متكاملة تعتمد على تأسيس علاقات بينهم وبين الآخرين. إلا أن هذا الأمر يتضمن عدداً من المشكلات الاخلاقية تلخص فى أن هؤلاء الأفراد لا يستطيعون تطوير علاقات مع الآخرين فى الوقت الذى يرغبون فيه اكتساب تلك العلاقات الجنسية لذا فإنه يجب تدريس الممارسات والسلوكيات التى تقوى نوعية حياة هؤلاء الأفراد بحيث تكون حياة فى اتجاه المعايير المقبولة فى المجتمع.

وبالرغم من ذلك فإن تدريس السلوك الجنسي المناسب ربما لا يكون هو المشكلة الوحيدة فى التعامل مع موضوع «الجنس فى التوحد» حيث يؤدي ايضا نقص الفهم العاطفى لديهم إلى حساسية لدى أفراد هذه الفئة. فعلى سبيل المثال كانت «بيترا» فى الخامسة عشرة من عمرها وتعانى من التوحد، وصعوبات تعلم حادة إلا أنها كانت تتحدث بشكل جيد إلى حد ما. ولكن فهم «بيترا» كان محدوداً وهى اجتماعية فى الظاهر.. كانت بيترا تحب أن تلمس جسدها خاصة إذا أدى ذلك إلى مداعبات، وتحب أن تتحسس شعر الرجال - خاصة اللحيات، وشعر الرجل الأفروكاريبى - كما كانت تقترب من الآخرين سواء كانوا غرباء أو غير ذلك ثم تضع أيديهم على

جسدها وفي بعض الاحيان لا تتحدث وتصدر ضحكة مكتومة، ونادراً ما تقول داعبني..

لقد تلقت «بيترا» شيئاً من التربية الجنسية فى المدرسة فى حدود ضيقة ترتبط بالقضايا الجسدية والحقائق ذات الصلة. لقد كانت لدى بيترا القدرة على التعامل مع فترة الحيض Menstruation بالرغم من عدم فهمها خصوصية ذلك وكانت تعبر عن بدء فترة الحيض إلى أى شخص حولها بتفاصيل مرسومة.

ولقد أدت معرفتها بالأطفال، ومن أين تأتي الأطفال، وكيف؟ إلى اهتمامها بالحمل Pregnancy، وكثيراً ما كان يمتد تفكيرها للرجال ذوى البطون الكبيرة وكانت تسألهم متى سوف تلد طفلك؟ تماماً كما كانت تفعل مع النساء. كما اهتمت أيضاً بالأعضاء التناسلية والخصائص الجنسية لكل من الذكر والأنثى. وتؤكد كل هذه السلوكيات الموجودة لدى بيترا على أنها لم تكن فقط فى حاجة لتعلم السرية فى الأمور الجنسية والصحية بل كانت تحتاج أيضاً إلى تعلم طريقة لرفض الممارسات غير المرغوب فيها. وفى نفس الوقت كان من الهام عدم تهديد بيترا بعدم الاتصال بالآخرين نظراً لأن اهتمامها بالآخرين أفاد كثيراً فى زيادة مشاركتها الاجتماعية وفى تطوير نوعية حياتها ولكن تبقى مشكلة رئيسية هى ان بيترا مثلها مثل الذين يعانون من التوحد لا تستطيع تحديد مشاعرها ولا تستطيع التعبير عنها، ومن ثم فهى لا تستطيع ان ترفض العروض التى تتسبب فى إثارة شعورها السلبي، ولا تستطيع أن تحدد وتعرف متى تشعر بعدم الراحة.

لذا فإن التدريس المطلوب يجب أن يحدد لبيترا قواعد تطبقها على نفسها دون تحديد لعواطفها الشخصية أو دوافع الآخرين وهذا يحتاج إلى برنامج تعليم صارم ولكنه أفضل من عدم اتخاذ أى إجراء. وبمجرد ان تعلمت بيترا فكرة الخصوصية فى وظائفها الجسدية تعلمت أن تقول «لا» للغرباء اذا حاولوا لمسها فى مناطق شخصية كما تعلمت إبلاغ اقاربها بذلك.

ولقد اعتمد هذا البرنامج التعليمى على سيناريوهات مسرحية مختلفة، ولقد أخذ فى الاعتبار عند إعداد البرنامج صعوبة تحديد الفرد الذى يدرس بيترا داخل هذا

السياق المقترح، وصعوبة تعميم السلوك الذي تمارسه بيترا مع الأفراد المألوفين لها في المواقف والسيناريوهات المستقبلية.

ولقد تعلمت بيترا أثناء التدريب أنماط الاتصالات المحمودة وأنواع اللمس المسموح بها مع هؤلاء الأشخاص المسموح لهم بالاتصال معها مع قليل من التقيد كما تم تدريب بيترا على تحديد الشخص القريب لها باستخدام قائمة بأسماء هؤلاء الأشخاص وصورهم (والديها وأخوتها). كما تعلمت بعد ذلك أن تتحدث وتتواصل مع شخص ما بعد أن تعرفه لمدة طويلة (بعد عشر زيارات على الأقل لها) إذا كان هذا الشخص قريباً لها. كما تعلمت أن المداعبة يجب أن تقتصر على المقربين فقط. وتضمن البرنامج طرقاً أخرى تستمتع فيها بالعمل مع الآخرين فقد تعلمت بيترا الألعاب - التي تعتمد على اليدين مثل «مصارعة الذراعين» - واليد فوق اليد».

٢- الحرمان Bereavement

يمثل الحرمان أحد الموضوعات العاطفية الأساسية التي تولد مشكلات خاصة لدى أصحاب التوحد. ومن خلال استعراض ما ذكر عن مشكلات الاتصال، يجب أن يستنتج المعلمون أن التوحدى عندما يفتقد فرد ما يحبه فإنه يعاني ويشعر بالحرمان بطريقة تختلف كثيراً عن الطريقة التي ينفع بها الطفل العادى عندما يفتقد فرداً يحبه الأمر الذى يعنى عدم قدرتنا على تحديد مشكلات طفل التوحد وعدم قدرتنا على علاجها. كما أن طفل التوحد لا يستطيع الاتصال بالآخرين بنفس الطريقة التي يتواصل بها الطفل العادى مع الآخرين حيث توجد لدى طفل التوحد طريقته الخاصة فى الاتصال بالآخرين وطريقة إحساس خاصة به عندما يفتقد أى شخص وبسبب نقص الفهم لدى أصحاب التوحد للموت ونظراً لاختلاف حالتهم العاطفية عن الحالة العاطفية للآخرين فإن الحالة العاطفية لطفل التوحد عندما يفتقد فرداً ما تبدو أسوأ.

فرانك طفل يناهز التاسعة من عمره يعاني من التوحد وصعوبات تعلم أخرى، ولديه أخ آخر توأم من الأطفال العاديين فرانك طفل لا يستطيع الكلام، ويتواصل مع

غيره باستخدام الإشارات، ويصل عدد مفردات الإشارات التي يستخدمها فرانك في التواصل مع الغير إلى ١٥٠ إشارة. وعندما يرغب فرانك في إشباع حاجاته يستمتع باللعب الفوضوي المضطرب خاصة مع والديه، وفي حالات كثيرة يفضل الجلوس مع نفسه يمارس حركات يدوية بسيطة.

وبينما كان فرانك في المدرسة - أصيب والده بازمة قلبية أدت إلى وفاته، وعلى الفور تم أيواء فرانك داخل دار للرعاية ظل فيها فرانك لمدة سبعة أيام بعد وفاة والده.. ولقد أعترض فرانك على التغيير الذي لاحظته عندما تم نقله من المدرسة إلى دار الرعاية ولكنه تعود بعد ذلك على النظام الموجود داخل دار الرعاية وبناء على طلب أم فرانك لم تبلغ المدرسة فرانك بخبر وفاة والده حتى تخبره أمه عندما يعود للمنزل مرة أخرى وحينما عاد فرانك إلى منزله لم ير ما يوحى بالحزن في البداية، واخبرته والدته بأن والده في السماء (الجنة) ولن يعود مرة أخرى عند ذلك ظهر الانزعاج على فرانك عند سماعه الخبر إلا أنه لم يظهر عليه مدى فهمه لذلك الأمر.

ولقد جاء موعد عودة والد فرانك للمنزل وبدأ فرانك في القلق وقرع الباب بشدة وأخذ يشير إلى افتقاد والده ثم أسرع فرانك لغرفة نوم والده وفتح دولاب ملابس والده للتأكد من وجود ملابس والده.. وبعد ذلك بدأ فرانك في الصراخ الشديد وهز دولاب ملابس والده وقام بفتح وغلق الباب.. ولقد استمر فرانك في هذا الوضع لمدة عدة ساعات.. وكانت هناك صعوبة كبيرة في إقناعه لتناول الطعام والذهاب للنوم... وفي صباح اليوم التالي وبعد أن استيقظ فرانك من نومه عاود نوبة الصراخ الشديد، وذهب لدولاب ملابس والده وأخذ يؤرجح باب الدولاب - وايضا كانت هناك صعوبة في إقناعه بالعودة للمدرسة، وفي حزن شديد طلبت الأم مساعدة المدرسة في حل تلك المشكلة.

الحديث عن وفاة والد فرانك كان له تأثير قليل على تصرفات فرانك إلا أنه كان دائما في ذهول، وذات مرة استطاع المعلم ووالدته إقناع فرانك بالذهاب إلى المدرسة، ولقد تحسنت حالة فرانك وأصبح هادئاً عند عودته للمنزل، ولكن بمجرد أن يقترب موعد عودة والده للمنزل، يندفع فرانك لدولاب والده ويبدأ في البكاء أكثر مما كان عليه.

ولقد عقد اجتماع مع المهتمين بالتربية لمناقشة مشكلة فرانك وأشارت النتائج إلى أن سبب شعور فرانك يرجع إلى اصطحاب والد فرانك لفرانك في أغلب الأوقات، ومرافقة والده له في ألعابه الفوضوية بعد المدرسة. إلا أن هذا لم يقلل من مقدار حزن فرانك ولكن هذا الاجتماع كان يهدف إلى اقتراح أسلوب لمساعدة فرانك في التغلب على حزنه.

ولقد قام الإخصائي الاجتماعي بزيارة فرانك في منزله، وكان يعود معه من المدرسة إلى منزله ليلعب معه ألعابه الفوضوية التي كان يلعبها مع والده الأمر الذي أدى إلى تحسن ملحوظ في حالة فرانك، وأصبح فرانك سعيداً باللعب مع الإخصائي الاجتماعي، وعندما انتهى اللعب وحان موعد عودة والده للمنزل قام فرانك بتناول العشاء وقام بالاستحمام والذهاب للنوم بدون ظهور أية محاوله للذهاب إلى دولا ب والده ولم تظهر عليه أية علامات للحزن.. وبعد مرور أسبوعين بدأ الإخصائي الاجتماعي اللعب الفوضوي الخشن مع فرانك في المدرسة قبل أن يعود فرانك لمنزله في تاكسي. وبالتدريج بدأ فرانك في ممارسة ألعابه الفوضوية مع الإخصائي الاجتماعي يوماً في الاسبوع ثم يومين ثم ثلاثة ثم خلال أربعة أيام في الأسبوع دون ظهور ايه علامات للحزن.

وهكذا يتضح أن فرانك استطاع أن يتغلب على حزنه على وفاة والده - على الرغم من أن فرانك كان يذهب لحجرة والده ويفتح دولا ب ملابسه ناظراً بحزن عميق على المكان الفارغ من ملابس والده.... وبعد ثلاثة شهور من وفاة والد فرانك عادت أم فرانك للتزاور مع اصدقائها مرة أخرى وبدأ سلوك فرانك في الاضطراب وانتابته الهواجس مؤخراً حيث كان يندفع فرانك إلى أعلى درج المنزل محاولاً الصعود إلى سطح المنزل وبدت عليه علامات الحزن والاضطراب، وإذا حاولت والدته أن تمنعه من الصعود لاعلى المنزل كان يقوم بضربها.

وفي آخر اجتماع عقد بالمدرسة لمناقشة مدى تقدم حالة فرانك لم يتوصل الاجتماع إلى تفسير لهذا السلوك... ولقد فسر هذا الاجتماع صعود فرانك إلى أعلى الدرج بأن الأخ التوأم لفرانك (الطفل العادى) كان يتحدث معه عن وفاة والده

وكان يقول له إن والده ذهب إلى الفضاء الأعلى فى السماء وفى ضوء هذا فسر معنى صعود فرانك لأعلى والهواجس المختلفة التى كانت تتناهى أثناء بحثه عن والده. وهكذا يتضح أن هناك صعوبات تحول دول مساعدة أطفال التوحد الذين يعتمدون على الإشارات بدلاً من اللغة فى التواصل مثل الطفل فرانك.. ففى أحد المستويات يمكن تفسير ذلك بأن الطفل فرانك افتقد فقط سلوكيات والده معه.. وفى مستوى آخر يمكن القول بأن الطفل فرانك يعى تماماً بوالده كشخص لذا فهو يحاول البحث عنه فى كل مكان.. وكل ما يستطيع الفرد أن يفعله هو إظهار فهم للضغوط الطبيعية التى تتناوب فرانك وأن نحاول التعامل مع الاضطرابات الناجمة منها بسبب اللغة. والموت موضوع يجذب الانتباه و فقط أطفال التوحد القادرون على استخدام اللغة فى التواصل قد يضطربون عندما نقول لهم إن الفرد الذى نجبه ذهب لكى سيتريح «ذهب لينضم إلى والده فى الجنة». أما بالنسبة لأطفال التوحد الذين يستخدمون اللغة أو الذين يستخدمون الإشارات يجب مراعاة المبادئ التالية:

* تعويض جوانب المشاركة بالأفراد الذين يحبهم طفل التوحد بقدر الامكان.. مثال ذلك استخدام الاخصائى الاجتماعى فى التغلب على حالات التدهور لدى فرانك.

* استخدام لغة واضحة وبسيطة للحديث عن الموت ووصفه بأنه من الخبرات الطبيعية مثل موت النباتات، وموت الحشرات.

* لا نتحدث عن الميت أثناء اضطراب طفل التوحد فالحزن والحسرة أشياء طبيعية ويمكن أن نسمح لها كمتنفس ومخرج. ويمكن استخدام الصور والرسوم مع طفل التوحد غير اللفظى لمساعدة على تذكر تلك العملية.

الاستنتاج Conclusion

يعتبر موضوع العواطف والانفعالات من الموضوعات الهامة فى دراسة وقراءة التوحد.. وفى تعريف التوحد نرى أن أصحاب التوحد يعانون من مشكلات فى إدراك الانفعالات الخاصة وانفعالات الآخرين. وفى هذا الفصل تناولنا الانفعالات

كجزء من مشكلة تربية أصحاب التوحد وأيضاً كجزء من الحل. ولقد اقترحنا ايضاً أنه يجب الا ننظر إلى الانفعالات كمساحة بها مشكلات توجد لدى طفل التوحد ولكن يجب أن ننظر اليها كطريقة للتدريس الناجح.. فدور الانفعالات فى التعليم هام فى مواجهة حاجات التدريس. فالتعليم بدون مشاركة وجدانية يبدو كما لو كان تعلمًا محدوداً لا يساهم فى تطوير العادات، والمهارات، ويعتمد على الإثارة من المعلم.

وإذا كان هدفنا كمعلمين هو إنتاج متعلم فريد مستقل مرن يجب إلا نعتقد أننا لا نملك اختياراً ولكن يجب أن نحاول معالجة الصعوبات الانفعالية لدى أصحاب التوحد وأن ننظر للانفعالات كقوة لتطوير وتحسين التعلم وليست اضطراباً.